مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

العدد ٢٠٠٦/٣

الأحد ١٥ كانون الثاني

تذكار أبوينا البارَّين بولس الثيبي ويوحنا الكوخي

اللحن الخامس

إنجيل السَحَر الثامن

الرسالة

(كولوسي ٣: ٤-١١)

يا إخوةُ متى ظهرَ المسيحُ الذي هو حياتُنا فأنتم أيضاً تَظهرون حينئذٍ معهُ في المجد* فأميتوا أعضاءَكم التي على الأرض الزنى والنجاسةَ والهوى والشهوةَ الرديئةَ والطمعَ الذي هو عِبادةُ وثن* لأنَّهُ لأجلِ هذه يأتي غضبُ الله على أبناءِ العصيان* وفي هذه أنتم أيضاً سلكتُم حيناً إذ كنتم عائشين فيها* أمَّا الآن فأنتم أيضاً اطرَحوا الكُلَّ الغضبَ والسُخطَ والخُبْثَ والتجديفَ والكلامَ القبيحَ من أفواهِكم* ولا يكذِب بعضُكم بعضاً بل اخلَعوا الإنسانَ العتيقَ معَ أعمالِه* والبَسوا الإنسانَ الجديدَ الذي يتجدَّدُ للمعرفةِ على صورةِ خالقه* حيث ليس يونانيٌّ ولا يهوديٌّ لا خِتانٌ ولا قَلَفٌ لا بربريٌّ ولا إسكيثيٌّ لا عبدٌ ولا حر بل المسيحُ هو كلُّ شيءٍ وفي الجميع.

حول الإنجيل

يتحدث إنجيل اليوم عن شفاء الرب يسوع لعشرة أشخاص ابتلوا بمرض البَرَص الجلدي. لعل النقطة الأبرز في هذه الحادثة هي إيمان ذلك السامري الأجنبي الذي عاد وحده ليشكر الله. يتضح هذا الاستنتاج أكثر إذا ما لاحظنا أن الإنجيلي لوقا يورد هذه العجيبة مباشرة بعد طلب الرسل إلى الرب يسوع «زد إيمانَنَا» وجواب الرب «لو كان لكم إيمانٌ مِثلُ حبَّةِ خردل لكنتم تقولون لهذه الجُمَّيزَةِ انقلعي وانغرسي في البحرِ فتُطيعُكم» (لو ١٧: ٥-٦).

البَرَص مرض يصيب الإنسان فيبيضّ جلد جسده أو يكون نتوء في الجلد وقد ابيض الشعر وفي الناتئ «وَضَحٌ من لحم حيٍّ» (لاو١٣: ١٠). الإصحاحان ١٣ و١٤ من سِفر اللاويين يعرضان بصورة تفصيلية لكافة أنواع البرص والتثبُّت منه وطريقة التعامل مع مَنْ يصيبه هذا المرض إضافة إلى طقوس التطهير بعد الشفاء. الجدير ذكره ان سِفر اللاويين منح الكهنة سلطة تقرير حالة المريض، ومَنْ تثبتُ إصابته بالمرض يُفرز من بين الجماعة لأنه يجب أن يسكن في أماكن خارج القرية أو المدينة ويلبس ثياباً خاصة: «والأبرصُ الذي فيه الضربةُ تكون ثيابه مشقوقة ورأسه يكون مكشوفاً ويُغطّي شاربيه وينادي نَجِسٌ نَجِسٌ. كلَّ الأيامِ التي تكون الضربةُ فيه يكون نجساً. إنَّهُ نَجِسٌ يُقيمُ وحدهُ، خارج المَحَلَّةِ يكونُ مُقامُهُ» (لاو١٣: ٤٥-٤٦). من يُشفى من برصه كان عليه أن يمر بطقس تطهير خاص لأنه كان نَجِساً، كما عليه أن يقدِّم ذبائح ومحرقات خاصة يكفِّر بها الكاهن عنه أمام الرب (لاو ١٤). حسب أهل العهد القديم هناك أربعة أنواع من الناس يوازون الميّت: الفقير، الأبرص، الأعمى والعاقر. كما ان الاعتقاد السائد لدى الجميع ان البرص هو عقاب إلهي على بعض الخطايا كالنميمة والتكبّر. هكذا ضرب الله مريم أخت موسى بالبرص لأنها تكلّمت على موسى بالسوء بسبب اتخاذه المرأة الحبشية (عدد ١٢). الأبرص هو الميت الحي (عدد ١٢: ١٢) وهو محتقر بين أبناء شعبه لا يعبرون طريقاً يسكن قربها أبرص، ولا يأكلون دجاجة ولدت قرب بيت أبرص.

في هذا الجو المتشدِّد حول مرض البرص وقف البُرصُ العشرة من بعيد ونادوا الرب يسوع: «يا يسوعُ المعلِّمُ

الإنجيل

(لوقا ١٧: ١٢-١٩)

في ذلك الزمان فيما يسوعُ داخلٌ إلى قريةٍ استقبلهُ عَشرةُ رجالٍ بُرصٍ ووقفوا من بعيدٍ* ورفعوا أصواتَهم قائلين يا يسوعُ المعلّمُ ارحمنا. فلمَّا رآهم قال لهم امْضوا وأروا الكهنةَ أنفسَكم. وفيما هم منطلقون طَهُروا* وإنَّ واحداً منهم لمَّا رأى أنَّهُ قد بَرئَ رجعَ يُمجِّدُ اللهَ بصوتٍ عظيم* وخرَّ على وجههِ عند قَدَميْهِ شاكراً لهُ وكان سامريًّا* فأجابَ يسوعُ وقالَ أليسَ العشْرَةُ قد طهروا فأين التِسْعَة* ألم يوجَدْ مَن يرجعِ ليُمجِّدَ اللهَ إلاَّ هذا الأجنبيُّ* وقالَ لهُ قُمْ وامضِ. إيمانُكَ قد خلَّصَكَ.

تأمل

«لا تكذبوا بعضكم على بعض إذ خلعتم الإنسان العتيق مع أعماله» (كو ٣: ٩). طالما أنكم أنتم المسيحيين قد لبستم المسيح الذي هو الحق (يو ١٤:٦)، كيف تلبسون الآن لباسَ الكذب؟ إنّ هذا اللباس هو طابع الشيطان أبي الكذب كما هو مكتوب: «ذاك أي الشيطان... لم يثّبت في الحق... لأنه كذاب وأبو الكذب» (يو ٨:٤٤).

ارحمنا» (لو ١٧:١٣). طلبوا الرحمة والشفاء، ولا أحد قادر على الرحمة والشفاء إلا الله وحده. هم يهود ويعلمون قصة مريم أخت موسى التي لم تُشفَ إلا برحمة الله. كانوا يثقون بسلطان يسوع وبقدرته الإلهية. لقد تجاوبوا بإيمان مع إرسال الرب لهم ليذهبوا ويعرضوا أنفسهم على الكهنة وذلك قبل أن يحدث الشفاء. هل لنا نحن ثقة بالله قوية لكي ننفذ ما يقول حتى قبل أن يحدث ما وعدنا به؟

انطلقوا وفيما هم في الطريق «طهروا»، أي صاروا مقبولين لدى شعب الله. واحد منهم، السامري، لم ينتظر رأي الكهنة به وما إذا كان شُفي وطهُر، لأنه وعى فعلاً ان يسوع هو الله. لذا فهو ليس بحاجة إلى رأي البشر لكي يقرروا في حاله، المهم أن يطهر في عيني الله. هذا السامري الغريب الجنس «لمَّا رأى أنَّهُ قد برئَ رجعَ يُمجِّدُ اللهَ بصوتٍ عظيم وخرَّ على وجههِ عندَ قدميه شاكراً له» (لو ١٧:١٥-١٦).

لقد أدرك هذا السامري مع يوحنا المعمدان وتلاميذه ان يسوع هو المخلِّص الذي انتظرته البشريَّة منذ القديم. فيوحنا عندما أراد التأكد ما إذا كان يسوع هو المسيَّا المنتظر أرسل إثنين من تلاميذه إلى يسوع «قائلاً أنت هو الآتي أم ننتظرُ آخر... فأجاب يسوعُ وقال لهما اذهبا واخبرا يوحنا بما رأيتما وسمعتما. ان العُمْيَ يبصرونَ والعُرْجَ يمشونَ والبُرْصَ يُطهَّرونَ والصُمَّ يسمعونَ والموتى يقومونَ والمساكينَ يُبشَّرونَ» (لو ٧:١٩ و٢٢). كان هذا السامري يعلم ان شفاءه من البَرَص يتطلَّب نبياً مثل أليشع الذي شفى نُعمان الدمشقي (٢ ملوك ٥) عندما أمره بالاغتسال سبع مرات في الأردن. لكن لدينا هنا مَن هو أعظم من أليشع، لدينا رب أليشع الذي يخلق بكلمة واحدة ويشفي بكلمة. أيقن ان يسوع هو النبي الأوحد والرب. شفاء السامري يقول لنا ان نعمة الله هي لكل إنسان. هذا ما نستنتجه إذا علمنا ان السامريين كانوا محتَقَرين ومرذولين من قِبَل اليهود. جاء يسوع ليقول انه لكل البشر.

وحده السامري الشكور عاد ليشكر الرب. إنها صورتنا نحن المسيحيين: نتلقى عطايا الله العظيمة بروح عدم الشكر. ما أن نحصل على ما نريد ننسى الله أو البشر الذين ساعدونا. عندما نكون في الشدائد نكثر النذورات وزيارات الكنائس، ومتى وُجدنا في الراحة ننسى الطريق المؤدية إلى بيت الله، بل ننسى ذكر الله بيننا وبين أنفسنا. الطامة الكبرى في حادثة الشفاء هنا ان مَن يعتبرون أنفسهم أخصّاء الله لم يعودوا ليمجدوه ويشكروه، والغريب الجنس الخاطئ عاد. لقد صحَّ فيهم، ويصح أيضاً في كل كاذب مدَّعٍ انه مؤمن، قول الرب يسوع: «الحقَّ أقولُ لكم إنَّ العشَّارينَ والزواني يسبقونكم إلى ملكوتِ الله» (متى ٢١:٣١).

مشكلة بعض المؤمنين انهم يبحثون عن الصحة الجسدية فقط ولا ينتبهون لصحة النفس والخلاص. السامري الشكور عاد فحاز على قول الرب «إيمانك خلَّصك» (لو ١٧:١٩). شكرُهُ قاده للنمو في نعمة الله ولشفاء نفسه. الله يمنح حياته لكل البشر ولا يميِّز بين إنسان وآخر، لكن هذه الإحسانات لا تفيد الإنسان عندما ينسى الله ويتكل فقط على نفسه.

لاهوت التجسد لدى

راجع ما يقوله الرسول في الآية التالية: «اطرحوا عنكم الكذب وتكلموا بالصدق كلّ واحد مع قريبه لأننا بعضنا أعضاء البعض» (أف ٤:٢٥).

هنا يوضح أحد الأسباب الذي من أجله لا نكذب كون بعضنا أعضاء البعض. فهل تكذب العين على الرجلين بما رأته؟ أم تكذب الرجلان بما تدوسه وتحسّه على العين التي ترى الحفرة مغطاة؟ لذلك إن رأينا أيّ أذى لأنفسنا ننقله إلى الآخرين حتى يتجنّبوه بدورهم ولا نكذب عليهم.

«الإنسان القديم» هو من نيّة الإنسان السيّئة لا من طبيعته الجسدية. ويُسمّى الإنسان ويوصف حسب نيّته واستعداد قلبه لا حسب طبيعة جسده.

لذلك لا يُسمّي الكتاب المقدّس الناس بحسب الطبيعة الجسدية بل بحسب نيّتهم الحسنة أو السيّئة التي كوّنت طبيعتهم. مثلاً يسمّيهم أحصنة: «صاروا أحصنة معلوفة سائبة صهلوا كلّ واحد على امرأة صاحبه» (إرميا ٥:٨). ويسمّيهم كلاباً: «كلهم كلاب بكم... والكلاب شرهة لا تعرف الشبع» (إشعيا ٥٦:١٠-١١). ويسمّيهم ذئاباً: «رؤساؤها في وسطها كذئاب خاطفة خطفاً لسفك الدم، لإهلاك النفوس، لاكتساب كسب» (حز ٢٢:٢٧) ويسمّيهم

القديس كيرلس الإسكندري

في الثامن عشر من كانون الثاني تحتفل الكنيسة المقدسة بتذكار بطريركَي الإسكندرية القديسين أثناسيوس وكيرلّس، وللثاني تذكار خاص في التاسع من حزيران.

عاش القديس كيرلّس في مطلع القرن الخامس الميلادي، زمن تبلور العقائد المسيحية نحو صيغها النهائية، وهو زمن عج بالهرطقات والتعاليم المُضِلّة، إلى العديد من النزاعات الفكرية بين المدارس اللاهوتية المتعددة آنذاك، حول المسائل الخريستولوجية، أي العقائد المختصة بالمسيح نفسه، التي كانت أكثر الموضوعات تأزماً في تلك الحقبة. إذّاك برز القديس كيرلّس لاهوتياً مستنيراً وخطيباً بليغاً، بالإضافة إلى غيرته على الإيمان قل نظيرها وإن اتسمت بالحدة أحياناً.

أبرز معلّمي الضلال في وجه كيرلّس كان أسقف القسطنطينية نسطوريوس الذي كان يبشِّر بوجود شخصين منفصلين في المسيح، شخص إلهي هو الكلمة يقيم في شخص بشري هو يسوع الإنسان، متعدّياً بذلك على عقيدة التجسد. هذا إلى جانب رفضه صفة «والدة الإله» عن الكلية القداسة مريم، إذ إنها وبحسب قوله ولدت إنساناً كسائر الناس حل فيه الكلمة ابن الله فيما بعد.

بتعليمه هذا قال نسطوريوس بشراكة شكلية بين الإله الكلمة وإنسان عادي، وهو ما رأى فيه كيرلّس إفراغاً للتجسد وتحويله إلى وهم، إلى حدث ظاهري سطحي لا حقيقة فيه. فقال: «كيف يمكن للمسيح أن يكون آدم جديداً، مُجدِّداً الخليقة، إذا لم يكن اتحاد لاهوت المسيح بناسوته اتحاداً كاملاً»؟ وقد رأى قديسنا في هذه التعاليم إفراغاً للأفخارستيا من قوّتها المحيية، بحيث يستحيل الجسد الموضوع على المائدة المقدسة إلى جسد إنسان عادي عَبَرَ مرة في التاريخ، يأكله المؤمنون كآكلي لحوم البشر.

تفادياً للإطالة والغوص في لاهوت شائك ليس هنا موقعه، سوف نكتفي بتناول محور واحد من محاور تعليم القديس كيرلس في تجسد الكلمة ابن الله. وحدة الطبيعتين في المسيح كانت المنطلق الفكري للاهوته. فالـ«عمانوئيل»، أي الطفل الإلهي المولود من القديسة مريم والموعود به في الأنبياء، هو واحد وليس «شخصاً مزدوجاً»، مع الجزم القاطع بعدم وجود أي اختلاط أو تشوش بين الطبيعتين الملتقيتين فيه.

تعاليم زمانه الضالة جعلت من القديس كيرلّس شديد الدفاع عن الوحدة في المسيح، هذه الوحدة التي ما أنتجت بأي شكل من الأشكال تحوّلاً في طبيعة الإله الكلمة أو في مكوّنات الجسد الذي اتخذه. «القول بأي اختلاط أو تشوّش بين الطبيعتين هو ثرثرة وحماقة»، يقول القديس بحدته المعهودة. كل واحدة من الطبيعتين تأتي من جوهر مختلف، وهذا الاختلاف بين الجوهرين ما أزاله الاتحاد، وإن كان كاملاً ولا يحتمل ذرة انفصال. مثالاً على هذا يستعير القديس كيرلّس صورة الجمرة المتقدة التي رآها إشعياء (٦:٦). فعندما تدخل النار الفحم، يبقى لكل من العنصرين خصائصه الطبيعية. على الشكل عينه، في التجسد بقي الكلمة هو الكلمة بعينه وإن اتخذ ما للجسد البشري، والجسد البشري اقتبل الفعل

ثعالب: «أنبياؤك يا إسرائيل صاروا كالثعالب في الخرَب» (حز ٤:١٣).

الكتاب يسمّي الناس بأسماء الحيوانات عندما يتشبّهون بها بحسب نيّتهم السيئة، بينما على العكس يُسمّي الناس أبناءَ الله وآلهة عندما يتصفون بالنيّات الحسنة. «أنا قلت إنكم آلهة وأبناء العليّ تُدعَون» (مز ٦:٨١).

لكن الطبيعة الجسدية لا تُدخل الإنسان إلى الجحيم أو إلى ملكوت السموات بل نيّته الحسنة أو السيّئة.

إذاً بعبارته «الإنسان القديم» يقصد الرسول النيّة الفاسدة الرديئة، لذلك يضيف بعدها «مع أعماله».

يقول إذاً: أيها المسيحيون إخلعوا النيّة الفاسدة مع الأعمال الشريرة. بكلمة «عتيق» يشير الرسول إلى عداوة هذه النيّة وبشاعتها ومرضها. وانظر كيف عدّد أعضاء هذا الإنسان العتيق: عن طريق الكذب بُني ذهنه المنحرف، عن طريق الغضب كشف عن قلبه الشرير، عن طريق التجديف أظهر فمه الكريه، عن طريق الزنى أظهر عينيه الزانيتين، عن طريق الطمع يديه الظالمتين، عن طريق الشهوة الرديئة أظهر الأعضاء الخفيّة، الكبد والكليتين (راجع رو ٦:٦).

«عالمين هذا أن إنساننا العتيق قد صُلب معه ليُبطل جسد الخطيئة كي لا نعود نُستعبد أيضاً للخطيئة».

القديس نيقوديموس الآثوسي

الإلهي الذي للكلمة وإن بقي على خصائص طبيعته. (هذا طبعاً دون الخطيئة التي ما هي من أصل الطبيعة البشرية بل طارئة عليها).

المسيح إذاً في تعليم كيرلّس هو الكلمة الإلهي الذي عاش بين الناس كإنسان حقيقي شوهد وسُمع ولُمس (١يو ١:١)، ويسوع الذي عاش بين الناس علّم وشفى وأقام الموتى، ومات وقام من بين الأموات كإله، علانية، من أجل البشر.

على ضوء تعليم القديس كيرلّس يتضح ما أثاره نسطوريوس بإنكاره على القديسة مريم صفة «والدة الإله». فالكلمة الذي هو ابن الله بالطبيعة، تجسد من العذراء مريم فصار أيضاً ابنها بالطبيعة طالما أن الجسد المتكون في أحشاء مريم هو الجسد البشري لابن الله حصراً لا استعارة. هذا وفي السياق نفسه، يشدِّد القديس كيرلّس على أن «عمانوئيل»، ا ي الإل ه الذي صار جسداً، هو محل عبادة واحدة غير منقسمة ممتداً من قول بولس الرسول إن كلمة الله تألم بالجسد وصار «بكر الأموات». اتحاد الطبيعتين حقيقي ولصيق إلى حد جعل القديس كيرلّس يقول باشتراك كل من الطبيعتين في خصائص الأخرى. في تعليم القديس أن الكلمة ابن الله أسبغ مجد الفعل الإلهي على جسده البشري، متخذاً في الوقت عينه ما هو من خصائص الجسد. هكذا تحل قوة ابن الله المحيية في جسده، ويصبح هذا الجسد محيياً بدوره. الإفخارستيا المقدمة إلى المؤمنين في كل قداس إلهي، هي هذا الجسد المادي الذي متى حلّت فيه قوة ابن الله المحيية، لا يستحيل إلى طبيعة أخرى بل يصبح بذاته محيياً. هذا ويشدِّد القديس كيرلّس على بعد لاهوتي خلاصي بالغ الأهمية: الكلمة ابن الله لم يتألم في ذات طبيعته، وهو منزّه عن الألم، بل تألم متجسداً. أي إن الألم لم يصعد إليه، بل هو من نزل إلى الألم، وفي هذا قمة التنازل وروعة الفداء.

ثمة من فهم القديس كيرلّس، خطأً، على أنه ينادي بالطبيعة الواحدة في المسيح. لعل هذا مرده إلى استماتة قديسنا في التعليم بوثاقة العرى بين الطبيعتين وحرصه البالغ على استبعاد أي شكل من أشكال الانفصال. بشريَّة المسيح ما خلت، في تعليم كيرلّس، من نفس عاقلة ذاتية المشيئة. يسوع المسيح سار إلى الصليب طوعاً بملء إرادته، قَبِلَ الذبح حباً لا قسراً، فداءً لا بجريرة ذاته، وهكذا صار آدم جديداً وصرنا به خليقة جديدة.

عيد القديس أنطونيوس

بمناسبة عيد أبينا البار أنطونيوس الكبير المتوشح بالله يترأس سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس خدمة صلاة الغروب عند السادسة من مساء الإثنين ١٦ كانون الثاني ٢٠٠٦ وخدمة القداس الإلهي عند التاسعة والنصف من صباح الثلاثاء ١٧ كانون الثاني في كنيسة أبوينا البارين أنطونيوس الكبير وبورفيريوس الرائي في دار المطرانية.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb